ليست من صنع الإنسان ، ولا ثمرة لجهوده ، بل من صنع الطبيعة والغريزة وهي عكس افكار التنوير التي تعطى للعقل والارادة البشرية قـــوة الحسم ٠ وبذلك يكون هردر قد افسح مكانا عريضا في نظرية لفعل قوى تتصف بالغموض ٠ وواقع الامر ان المذهب العضوي في تفسير حركة التاريخ والبشرية وصحوة الامم ، تنتهي الى تغلب القوى اللاواعية واللاعقلانية ، قوى الغريزة العميـاء والنمو التلقائي والعبقرية التي تفصح عن نفسها في الاشكال البدائية ٠ اما قوة العقل فتشغل حيزا ضئيلا ، ولا تبدل الحياة او تغيرها او تؤمن تقدمها (٢٣)، لقد وضع هردر اللبنة الاولى في التيار اللاعقلاني المدمر الذي حل الغريـــزة والطبيعة والتفتح الطبيعي والاسطورة محل العقل والارادة ٠

اما فخته (١٧٦٢ ـ ١٨١٤) فهو بلا جدال من الرواد الاول للقوميـــة الالمانية ، امتلأ حماسة للثورة الفرنسية ، وكانت تحركه الافكار العالميـــة والثورية والانحياز للطبقات الشعبية ، ولكن هزيمة بروسيا امام نابليون وسحق جيوشها في ييتا سنة ١٨٠٦ كان له وقع عميق من نفسه ، احدثت فيه تحول بعيدا ، فقد اصبح الداعية الاول للوطنية والقومية الالمانية ٠ ففي سنة ١٨٠٧ وجه خطاباته المشهورة الى الامة الالمانية عزا فيها الكارثة المروعة التي حاقت بالمانيا الى انحطاط الخلق الالماني ، وبخاصة انانية الطبقات العليا ، وعقـــد آماله مثل روسو على الطبقات الدنيـا ٠

والشعب الالماني في نظره هو شعب العقل ، له رسالة روحية واخلاقية كبرى عليه ان يحملها لمصلحة الجنس البشري ، وهو وحدة الذي يصلح للقيام بهذه الامة ، حيث انه احتفظ بلغته الاصلية وهي لغة حية شعبية وخلاقة اما الامـم الاخرى فقد لحقها العجز ٠

والعالم الجديد الذي يدعو اليه فخته ، يبدأ في نظره من حقل التربية : «لقد اضعنا كل شيء ولم يبق لنا سوى التربية » هذه التربيـــة ستظهر « ارض الميعاد » « الفكرة الحقة » ٠ ومن هو القادر على تقبل « التربيـــة الجديدة » الـ « الثقافة الجديدة » ؟ انه الالماني والالماني وحده ٠٠ الالماني في ذاته ولذاته، وذلك بسبب « طابع اساسي » يحمله الالمان دون غيرهم من الامـم الاخرى ، فلقد بقي الالماني في مكان الاقامة الاصلي للقبائل الجرمانية التي غزت اوروبا الرومانية واحتفظ بلغته ٠٠ وباختصار فان الشعب الالماني هو شعب العقـل ، وهو المؤهل وحده لانشاء دولة العقل ، وانسان العقل ، بواسطة التربية وهـو امة الخلاص ٠ المؤهل وحده لخلاص البشرية هكذا خاطب مواطنيه في خطابه الرابع عشر والاخير ٠

ولم تكن افكار فخته هذه بدافع من التعصب العرقي أو أفكار الاستعـــلاء القومي ، بل كانت خطابات ملتهبة تستنهض همم أمة تواجه قضية تحريـــر ،